التصميم المعماري للمساكن في المدينة العربية الإسلامية

أ.د. خليل حسن الزركاني *

لقد تجاوزت العمارة العربية الإسلامية المبررات الوظيفية الأولى لتصبح مجالا للفن أو تكون فنا بذاتها دون التضحية بالوظيفة الأساسية لهذه العمارة ، حيث غدت فنا ابداعيا متميزا في تاريخ الحضارة العربية.

لقد شكل المسكن العربي الوحدة الأساسية ونواة المدينة العربية الإسلامية حيث يشكل بنسبة ٦٥ ــ ٧٠ % من النسيج العمراني في المدينة وهي نسبة عالية في الاستعمالات داخل الأرض الحضرية لقد كان المعمار العربي مبدعا حينما تمكن من ربط الأهداف الرئيسية للمسكن في إيواء الناس وتحقيق الأمن والحماية لهم من الاعتداء والفضول وتقلبات المناخ مع ضمان استمرار علاقاتهم الاجتماعية الداخلية وسلامة صحتهم وهدوء نفوسهم .

وقد احتوي البحث علي دراسة عمارة المساكن في التراث العربي الإسلامي ، حيث حظيت عمارة المساكن في التراث العربي الإسلامي باهتمام كبير وتناولته مصادر متعددة تشكل بمجموعها مصادر للفكر المعماري العربي الإسلامي ولقد عبر القرآن الكريم تعبيراً صريحاً عن ذلك كما في قوله تعالى " والله جعل لكم في بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلي حين " وقد أبرز الحديث الشريف الجانب الوظيفي في بناء البيوت كما في قول الرسول (صلي الله عليه و اله وسلم) وكل بناء وبال علي صاحبه يوم القيامة كفافا وهذا يعني الغاء التكلف وعدم إرهاق المسلمين إقتصاديا . اهتم العرب بالفضاءات المفتوحة والهواء الطلق والطبيعة الصحراوية ، فعندما طلب إلي أحد منهم أن يحدد الغني بالنسبة له كان جوابه سعة البيوت ودوام القوت، وقد قالت العرب عن الدار ليكن أول ما تباع وأخر ما تبيع ومن عباراتها المشهورة في حفظ الدار قالت العرب حين تختط الدار (هي قميصك فإن شئت فوسعه وإن شئت فضيقه) وقد حدد لنا بغدادي في العصر العباسي مميزات داره فقال : هي أن تكون علي طريق نافذة ماؤها يخرج منها ليس عليها مستشرف وحدودها لها ، وأن تكون بين الماء والسوق يصلح فناءها يحط الرحال وبل الطين وأن يكون لها بابان فذلك أمثل وينبغي أن تكون علي طرف البلد لأن الأطراف منازل الأشراف .

وكذلك تناول البحث تصميم المسكن في المدينة العربية الإسلامية وفي هذا الإطار سلط الضوء علي

١ الأبواب:

فالأبواب هي ضرورة من ضرورات المسكن لأنها تحافظ علي حرمته وتمنح سكانها نوعا من الاستقرار أن كثرة الأبواب دليل علي سعة المسكن ، وتتكون الأبواب من

---

* جامعة بغداد ــ مركز إحياء التراث .

قطعة واحدة فهي فردة وأن كان زوجا ففيها مصراعان وتتحرك هذه بواسطة صنارة اما من الحجر وبعضها صخرية .

٢ المدخل :

تتكون فتحة باب المدخل من عتبة عليا يطلق عليها (الأسكفة) وجانبين أو ما يطلق عليه بالعضادات أن تصميم المدخل كان بطريقة خاصة تلائم التقاليد العربية حيث أن المدخل لا يؤدي إلي الفناء مباشرة بل يوصل إلي رحبة مربعة . والرحبة إلي ردهة وتلك تؤدي إلي فناء حتى لا يتمكن أي عابر خارجي أن يري داخل المسكن . أن ازدواد المداخل في المساكن العربية الإسلامية له ما يبرره حيث يمنع بواسطته تعرض فناء الدار إلي ضوضاء الزقاق كما أن له أهمية دفاعية .

٣ الدهليز :

هو قاعة أو فناء يقع بين الباب الرئيسي وصحن الدار ووسطها وهناك مجموعة أسباب أوردها البحث تدعو المرء للاهتمام بالدهليز منها لأنة وجه الدار ومنازل الضيف ومجلس الصديق حيث يؤذن له وموضع المعلم ومنتهى المستأذن ويحافظ علي حرمة الدار ويعد واجهته.

٤ الفناء أو الحوش (الصحن) :

ذكرت المصادر التراثية المعمارية أهمية الفناء في تخطيط المسكن باعتباره من أهم المصادر المعمارية المتميزة وكان من سمات المسكن العربي الإسلامي سعة الصحن فالفناء هو قلب المبني ومن أبرز فوائد الفناء في المسكن العربي :

١ توزيع الحركة لمرافق المسكن وايصال الهواء والضوء .

٢ يساعد علي حفظ الحرارة وهو كحل مناخي لمعالجة الظروف المناخية الحارة .

٣ الجانب الاجتماعي الذي يحققه الفناء لأنه يعد المكان الرئيسي الذي تجتمع فيه العائلة.

٥ الحجر :

هي الغرف والحجر وهو البيت المربع ، والجمع حجرات .

٦ الأيوان :

وتعريفه المعماري هو البيت الموزج أي المرتفع البناء غير مسدود الوجه وهو قاعة مسقوفة بقبو ، مفتوح مقدمها علي بهو وبعقد مقوس نصف دائرى أو مدبب أو مفتوح أو مبطح مغلوق موخرها بجدار ، أن المسكن الذي لا يحتوي علي ايوان لا يعد دار للمسكن ولا تدل علي مكانة ساكنيه المالية .

٧ الأروقة :

رواق البيت ما أطاف به وتقام الأروقة في البيوت في مقدمة الأواوين وهو يحمي من أشعة الشمس صيفا ومن المطر شتاء .

٨ الرواشن :

وهي الطارمة خشبية مرتفعة وهي أشبه بالبالكون . ان الوظيفة الأساسية للرواشن والأجنحة هي زيادة مساحة الأسطح للطوابق العليا من البيت وتجميله .

٩ النوافذ :
استخدمت النوافذ في المسكن العربي الإسلامي لغرض توفير الضوء المباشر التي تطل على الصحن وكذلك الحصول على التهوية .
١٠ السرداب :
يكون السرداب منخفضا عن مستوي أرضية المسكن بعدة درجات ويكون عميقاً ما بين ٣ ــ٥ م ويتخذ السرداب في الصيف حيث يقضي الناس أوقات قيلولتهم في أشهر الصيف الحار .
١١ الكنيف :
أهل البصرة يسمونه بيت الطهارة
١٢ الحمام :
الحمامات الخاصة لا تختلف في تكوينها وتصاميمها المعمارية عن الحمامات العامة لأن النظافة من الشروط الصحية وهو مقسم إلي قسمين الأول المنزع ، أما القسم الثاني فهو غرفة الاستحمام وتكسي أرضا وجدرانها بالغار .
١٣ المطبخ :
ويكون موقعه بعيد عن هبوب الرياح لمنع تصاعد الدخان إلي الفضاءات الأخرى في المسكن .
١٤ السلالم :
وهو ما يرتقي عليه سواء كان من خشب أم من حجر .
١٥ الميازيب :
تصنع هذه الميازيب من صفائح معدنية تمتد من الأعلى إلي الأسفل بشكل خرطوم واستخدمت أنواع أخرى لتصريف الماء المتجمع فوق السطوح أثناء الأمطار .
١٦ السطوح :
حيث تحاط سطوح المساكن بأسيجة لغرض تجلب ضرر الكشف للناس في بيوتهم حيث تطلى هذه السطوح بطبقة من الطين.

أبرز عناصر الأصالة المعمارية في تصميم المسكن العربي الإسلامي

١٧ استيعاب المتغير المناخي:
تحدد المتغاير المناخي بعدة عناصر مؤثرة علي تصميم المسكن وهو عنصر الحرارة المرتفعة وتباين مداها والرياح الجافة التي تكون مقربة لها فيجب أن تكون المساكن مفتوحة علي الفناء الداخلي حيث أن حركة الرياح المتوسطة تنقل كثير من الأتربة في الأزقة إلي داخل البيت وأخفاء طابع السكون علي المسكن .
أما بالنسبة للشناشيل فهي غرفة تطل علي الأزقة الضيقة بواسطة شناشيل خشبية بارزة فأنها كعنصر معماري هام الغرض منها تخفيف حدة الضوء وادخال النسيم وتمكن رؤية الخارج دون أن يكون العكس .